أنين المذنبين

إن الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنا سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة، فكشف الله به الغمة، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فاللهم اجزء عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولا عن دعوته ورسالته، وصل اللهم وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

✉يحيط بابن آدم أعداءٌ كثير، من شياطين الإنس والجن، يحسّنون القبيح؛ ويقبحون الحسن، ينضم إليهم النفس الأمارة بالسوء والهوى، يدعونه إلى الشهوات، ويقودونه إلى مهاوي الردى، لينحدر في موبقات الذنوب يصاحب ذلك عند المؤمن ضيق، وحرج، وشعور بالذنب، والخطيئة، فتأتي رحمة الله العليمِ الحكيمِ الرؤوفِ الرحيمِ اللطيفِ الخبير؛ الذي فتح لعباده أبواب التوبة؛ ودلهم على الاستغفار؛ وجعل لهم من أعمالهم الصالحة كفارات؛ وفي ابتلاءاتهم مكفرات.

⇦بل إنه سبحانه بفضله وكرمه يبدل سيئات التائبين حسنات: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 27، 28].

✉لقد جعل الله في التوبة ملاذًا مكينًا وملجأ حصينًا، يَلِجَه المذنبُ معترفا بذنبه؛ مؤملًا في ربه؛ نادمًا على فعله؛ غير مصرٍّ على خطيئته، يحتمي بحمى الاستغفار؛ ويُتبعُ السيئةَ الحسنة؛ فيكفِّر الله عنه سيئاته، ويرفع من درجاته.

⇦التوبة الصادقة تمحو الخطيئات مهما عظمت حتى الكفرَ والشرك: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: 38].

✉لقد خلق الله العباد وجعلهم عرضة للخطأ والتقصير، فما من عبد إلا ويتعرض للخطأ، إلا من عصمه الله عز وجل، وهذا معنى قول النبي ﷺ: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ" الجامع الصغير

✉ومن رحمة الله سبحانه أن فتح باب التوبة والإنابة لكل من أسرف على نفسه، واقترف الذنوب والمعاصي، وسمى سبحانه نفسه التواب الرحيم، ودعا المذنبين إلى التوبة والإنابة، فإذاعادوا إلى ربهم، وندموا على تفريطهم في حقه، وتضرعوا بين يديه، سرعان ما يتقبلهم برحمته، ويعفو عن زلاتهم، بل إن الله يفرح بتوبتهم وانطراحهم بين يديه.

⇦نسأله سبحانه أن يغفر ذنوب المذنبين، ويقبل توبة التائبين، وأن يدل الحيارى، ويهدي الضالين، ويغفر للأحياء وللميتين.

📝**عناصر محاضرتنا اليوم:**

❶: التوبة.

❷: شروط التوبة.

❸: عقبات فى طريق التوبة وكيف الخلاص منها.

❹: فضل التوبة.

❺ : شموس مضيئة فى سماء التوبة.

✉حبيباتي جلسنا في هذا المجلس بين يدي الكريم، الرحمن الرحيم، مقرين بفضله علينا، ومعترفين بذنوبنا، مستغفرين تائبين، نتوسل إليه سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يتوب علينا وعلى جميع المسلمين، وأن يسترعلينا وعلى جميع المسلمين فى الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه

📣وجوب التوبة:

✉فأصل التوبة فى اللغة الرجوع يقال: تاب وآب وثاب: بمعنى رجع، فالتائب إلى الله هو الراجع عن كل ما يكرهه الله ظاهراً وباطناً، إلى كل ما يحبه الله ظاهراً وباطنا.

📃ولقد تظاهرت وتضافرت أدلة القرآن والسنة، وإجماع الأمة على وجوب التوبة فى كل لحظة وحين، لأن المسلم لا يخلو من معصية ظاهرة أو باطنة.

✉من أجل ذلك وجب عليه أن يجدد التوبة والأوبة إلى الله بعدد أنفاس حياته حتى يلقى الله – عز وجل – وهو على توبة قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) [التحريم:8]

ويقول الله جل وعلا: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [النـور:31]

ويقول جل وعلا: (وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [الحجرات:11]

📃قال ابن القيم رحمه الله:" قسّم العباد إلى تائب وظالم، وما ثم قسم ثالث ألبتة، وأوقع اسم الظالم على من لم يتب، ولا أظلم منه؛ لجهله بربه وبحقه، وبعيب نفسه، وآفات أعماله ". مدارج السالكين

✉هناك من يقول ويعمل ظاهراً او باطناً ما يغضب الله عليه، ثم لا يتوب لماذا ما السبب؟

⇦لان كثر المساس يفقد الاحساس، إلف المعصية أعظم ما يبتلى فيه العبد، أعتيادها حتى تصبح جزء من حياته، ومع مرور الوقت يعتقد انها غير جالبة لسخط الله، وعَنْ أبي هريْرَةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى، أَنْ يَأْتِيَ الْمَرْءُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ) عَلَيْهِ متفقٌ عَلَيهِ.

✉ الذنب الذي قرينه الندم والدموع والحسرة والخوف، يورث الجنة لان الله يتوب على من تاب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، أما الاستمراء والعادة والإلف يأتي بسخط الله وغضبه، ويأتي بالحرمان من الطاعات التي تبلغ العبد أعلى الجنان.

قال تعالى واصفاً حال التائبين النادمين: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [ال عمران:135]

✉كلما كان العبد بالله أعرف، كان منه أخوف، ولطاعته أرغب، وعن معصيته أبعد.

وعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أن رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: (مَن سرَّتهُ حسنتُهُ وساءتْهُ سَيِّئتُهُ فذلِكم المؤمنُ) صحيح الترميذي

📄من علامات إيمان العبد أن تسره حسنته، وتسوؤه سيئته، فمحبة العبد للتوبة، ورغبته في الاستقامة، وبغضه للذنب الذي يفعله، وشعوره بالهم والغم من ذنبه، علامة حياة القلب، وهذا العبد يعينه الله ليتوب ويتوب عليه.

✉قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه قال به هكذا " وأشار بيده على أنفه.

✉لما دخلوا على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في مرض موته قالوا له: ماذا تشتكي؟ قال: اشتكي ذنوبي!، ثم قالوا له: وماذا تشتهي؟ قال اشتهي رحمة ربي.

هذا الذي قال عنه ﷺ: (ممَّ تضحكون؟ قالوا: يا نبيَّ اللهِ! من دِقَّةِ ساقَيهِ! فقال: والذي نفسي بيدِه؛ لهما أثقلُ في الميزانِ من أُحُدٍ) السلسة الصحيحة

✉كان السلف يخافون الله خوفا شديدا، محمودا، حال بينهم وبين المعصية.

📄قال ابن القيم رحمه الله: الْخَوْفُ الْمَحْمُودُ الصَّادِقُ: مَا حَالَ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ مَحَارِمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

✉الخوف الحقيقي من الله: هو ما حجز عن محارم الله، وأول التوبة عدم الإصرار على الذنب.

📄وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: " لَا كَبِيرَةَ مَعَ الِاسْتِغْفَارِ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ" رواه البيهقي.

📄وقال ابن القيم رحمه الله:" الإصرار على الصغيرة قد يساوي إثمه إثم الكبيرة أو يربى عليها ". انتهى من إغاثة اللهفان

📄وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:" ولا ينفع الاستغفار مع الإصرار، لأنه إلى الاستهزاء أقرب منه إلى الحسنات " انتهى من "ثمرات التدوين"

📄وَقَالَ اِبْن بَطَّال: يُؤْخَذ مِنْهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُون الْمُؤْمِن عَظِيم الْخَوْف مِنْ اللَّه تَعَالَى مِنْ كُلّ ذَنْب صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، لِأَنَّ اللَّه تَعَالَى قَدْ يُعَذِّب عَلَى الْقَلِيل فَإِنَّهُ لَا يُسْأَل عَمَّا يَفْعَل سُبْحَانه وَتَعَالَى " انتهى.

📄فلا يكفي اعتراف العبد بالذنب مع تماديه فيه، حتى يتوب إلى ربه، ويسعى جاهدا في ذلك، ويكثر من العمل الصالح، فإن الحسنات يذهبن السيئات.

وعنْ أَنَس رضي الله عنه قالَ: "إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدقُّ في أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُوبِقاتِ" رواه البخاري. ⇦وَقالَ: "الْمُوبِقَاتُ" الْمُهْلِكَاتُ.

☜إذا كان هذا حال السلف، فما بال الخلف لا يرون كبيرة، ولا صغيرة، بل اصبحت المعاصي من العادات.

وعن النبي ﷺ قَالَ: «الكيسُ منْ دانَ نفسَهُ، وعملَ لمَا بعدَ الموتِ، والعاجزُ منْ أَتْبَعَ نفسَهُ هواهَا، وتمنَّى على اللهِ الأمانيَّ». الجامع الصغير

📝هذا نبينا وحبيبنا الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يتوب إلى الله ويستغفر الله فى اليوم مائة مرة، فقال ﷺ:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إلى اللهِ، فإنِّي أَتُوبُ في اليَومِ إلَيْهِ مِئَةَ مَرَّةٍ) صحيح مسلم، وقال ﷺ: (واللهِ إنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إلَيْهِ في اليَومِ أكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً) صحيح بخاري.

📜إذا كان هذا حال سيد المرسلين ﷺ، فكيف حال من هم دونه، فوالله لا ينفك مسلم عن معصية صغرت أم كبرت، ظاهرة أم باطنة، فنحن نحتاج إلى التوبة بعدد أنفاس حياتنا فى هذه الدنيا.

📜والله تعالى لا يغلق باب التوبة أبداً حتى تبلغ الروح الحلقوم أو حتى تطلع الشمس من مغربها، فنتأمل كلام الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، قال ﷺ: (إن الله تَعَالَى يبْسُطُ يدهُ بِاللَّيْلِ ليتُوب مُسيءُ النَّهَارِ، وَيبْسُطُ يَدهُ بالنَّهَارِ ليَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مغْرِبِها) رواه مسلم.

قال تعالى: (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) [ق:31-33]

⇦أُدْنِيَتْ وَقُرِّبَتْ مِنَ الْمُتَّقِينَ، (هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ) أَيْ: رَجَّاعٍ تَائِبٌ مُقْلِعٌ. ابن كثير

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ أي: هذه الجنة وما فيها، مما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، هي التي وعد الله كل أواب أي: رجاع إلى الله، في جميع الأوقات، بذكره وحبه، والاستعانة به، ودعائه، وخوفه، ورجائه. السعدي ﴿حَفِيظٍ﴾ أي: يحافظ على ما أمر الله به، بامتثاله على وجه الإخلاص والإكمال له، على أكمل الوجوه، حفيظ لحدوده،﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ أي: وصفه الإنابة إلى مولاه، وانجذاب دواعيه إلى مراضيه.السعدي

وفى الصحيحين من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ ".

⇦ "فلا يزالُ كذلِكَ حتَّى يضيءَ الفجرُ"الترميذي

✉طالما الله يقبل التوبة ما هو الذي يخيف العبد المتكاسل المتباطئ عن التوبة المسوف لها؟ المخيف أن الموت لا يمهل أحد، لا بد ان نسارع قبل أن يأتينا الموت بغتة.

📄الله ينادى علينا ونحن فى غفلة حتى نتدارك أنفسنا قبل فوات الآوان: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر:53]

📝يجب أن لا نقنط ولا نيأس مهما بلغت ذنوبنا، ونعلم بأننا لو قلنا يا رب يا رب تب علينا صادقين، سيستجيب لنا الكريم، وسييسر لنا طريق التوبة:(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت:69]

✉ كل من توكل عليه كفاه، ومن اعتصم به نجاه، ومن فوض إليه الأمر هداه.

والتوبة لها شروط:

❶- الإخلاص لله تعالى: يجب أن تكون النيّة لله -تعالى- وحده حُباً فيه وطمعاً في نيل رضاه وثوابه، ولا تكون الغاية من التوبة إلّا التقرب من الله -تعالى- وطاعته، وليس لغاية دنيويّة، قال -تعالى-: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّـهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّـهِ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) [النساء :146]

فلا نتوب خوفا من العقوبة ولا خوفا من ذم الناس، إنما خوفا من الله وطعاً برضاه، قال الله تعالى في حق يوسف عليه السلام :(كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)، فالله يصرف عن عباده ما يسوؤهم إذا كانوا لا يبتغوا بهذا الترك الا وجهه.

❷- الإقلاع عن الذنب: يترك العبد الذنب الذي ارتكبه ويبتعد عن كل أمر يُقرّبه منه.

❸-الندم على ارتكاب الذنب: يستشعر العبد عظمة الله -تعالى- حال ارتكابه ذنباً معيّناً، كما هي الحال في كل وقت وحين؛ فيندم على ما تقدّم منه من تقصير واعتداءٍ على حقوق الله -سبحانه وتعالى-، راجياً من الله -تعالى- رحمته ومغفرته.

❹- العزم الجازم على هُجران الذنب وعدم العودة: يجب أن يرافق التوبة من الذنب؛ عدم العودة إليه في المستقبل، وإصلاح ما بدر من العبد من تقصير؛ بالإكثار من الطاعات، والمحافظة على ترك المعاصي والمنكرات حتّى الموت.

❺ إرجاع الحقوق إلى أصحابها: يجب إعادة كل حقّ إلى صاحبه إذا كان الذنب متعلّقاً بحقّ من حقوق العباد.

نريد أن نتعرف على عقبات خطيرة قد تعوق طريقنا إن أردنا التوبة إلى الله عز وجل وهذه العقبات:

❶- الشيطان بين التزين للعبد والتيئيس من رحمة الرب.

(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) [الحجر:39]، هذا عمل الشيطان، عمله مع الإنسان: التَّزيين والإغواء، يُزّين للإنسان السُّوء، ويُجمّله له، ويُحبّبه فيه حتى يراه حَسَنًا:(أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا) [فاطر:8]، يُزيّن له القبائح والمعاصي والشّرك، حتى الكفر والنفاق والرياء، كلُّ المعاصي، معاصي الجوارح ومعاصي القلوب، يُزيّنها لهم الشيطان، ويُحبّبها إليهم، ويُحسّنها لهم.

وأيضاً الحذَّرَ من اليأس والقُنوط من رحمته، فالشيطان إما يزين وإما يجعل العبد يسيء الظن بالله، فيعتقد أن ذنبه أعظم من أن يغفر، فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: 53]، قال ابنُ كثير: (هذهِ الآيةُ الكريمةُ دَعْوَةٌ لجميعِ العُصاةِ منَ الكَفَرَةِ وغيرِهم إلى التوبةِ والإنابةِ، وإخبارٌ بأنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُّنوبَ جميعاً لمنْ تابَ منها ورَجَعَ عنها، وإنْ كانت مَهْما كانت، وإنْ كَثُرَت وكانت مِثْلَ زَبَدِ البَحر، ولا يَصِحُّ حَمْلُ هذهِ على غيرِ تَوبَةٍ؛ لأنَّ الشِّركَ لا يُغفَرُ لمن لَم يَتُب منهُ) انتهى.

❷- الأغترار بستر الله وحلمه وتوالى نعمة على العبد، (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) [الأعراف:99]، فإنَّ مَن أَمِنَ من عذاب الله فهو لم يُصدِّق بالجزاء على

الأعمال، الإصرار على المعاصي مع مع توالي النعم لا يعني رضى الله، بل هذا من الاستدراج، قال ﷺ : (إذا رأيتَ اللهَ يُعطي العبدَ من الدُّنيا على مَعاصيهِ ما يُحِبُّ، فإنما هوَ استِدْرَاجٌ، ثُمَّ تَلا رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: 44]) رواه الإمام أحمد

❸- الركون إلى الدنيا والانشغال عن الآخرة.

لأنها حينما تصبح غايةً عليا للإنسان، ويكون همُّه إشباعَ شهواتها، والانغماسَ في ملذَّاتها، فإن النفس تنصَرِفُ عن معالي الأمور، ومراتب الكمال، وغايات الجلال، إلى أراذل الأعمال وسفاسِفها، ومن ثَمَّ يستوحشُ صاحبُها من الآخرة.

قال تعالى ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: 33]، فنهى عِبادَه أن تغرَّهم الدنيا بزينتها وزخارفها وما فيها من الفتن والمِحن، أو يغرَّهم بالله الغرور؛ وهو الشيطان.

وقولَ رسول الله ﷺ: "مَن كانت الدنيا همَّه، فرَّق الله عليه أمرَه، وجعل فقرَه بين عينَيْه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كُتِبَ له، ومن كانت الآخرةُ نيتَه، جمع الله له أمرَه، وجعل غناه في قلبه، وأتَتْه الدنيا وهي راغمة". السلسلة الصحيحة

❹- النفس الأمارة بالسوء.

إن النفس منبعٌ للأفكار والخواطر؛ فإن غلب خيرها شرها، واطمأنت عليه حتى صار لها خلقاً عرفت به، فهي النفس المطمئنة، وإن تأرجحت بين الحسنات والسيئات، ولكنها سرعان ما ترجع من الذنب إلى التوبة والاستغفار، فهي النفس اللوامة، وإن غلب شرها خيرها، فهي النفس الأمارة بالسوء.

❍كن قويًّا مع نفسك الأمارة، صارمًا في مواجهتها، متحديًّا لها، صابرًا على جهادها؛ حتى يستقيم لك أمرها، ويطيب لك حالها، وتمسك بزمامها، وتقودها من لجامها، وهناك فقط ستنعم بنفس راضية مطمئنة.

❺- صحبة الشر والسوء هذه عقبات ستعترض طريق التائب.

إن الإنسان بطبعه وحكم بشريته يتأثر بصفيه وجليسه، ويكتسب من أخلاق قرينه وخليله، والمرءُ إنما توزن أخلاقه وتُعرف شمائله بإخوانه وأصفيائه، قال ﷺ: «الرجلُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم من يُخالِلُ» صحيح أبي داود

فلا نصاحب الفساق والفاسدين فنكون مثلهم، ولا نجلس إلى أهل الدنايا فإن خلائق السفهاء تعدي، قال علي بن أبي طالب ا: «لا تصاحب الفاجر فإنه يزين لك فعله ويود لو أنك مثله».

❍فعلينا بصحبة الخير، هم خير مكاسب الدنيا، زينةٌ في الرخاء، وعدّةٌ في الشدة، ومعونة على خير المعاش والمعاد.

📃وقد ذكر ابن القيم أربع مراتب للناس مع الذنوب:

❶- المرتبة الأولى: مرتبة الخوف والحزن بعد المعصية:

✉بحيث أن العبد بمجرد أن يذنب، ينتفض قلبه، وينظر إلى ما كان من انخلاعه عن الإعتصام بالله حين إيتان الذنب، كيف أن الله خذله، وخلى بينه وبين نفسه، ومنع عصمته عنه، مع تيقنه نظر ربه إليه، واطلاعه عليه.

❍صاحب هذه المرتبة قريب من الرجوع والنجاة.

❷- المرتبة الثانية: مرتبة الفرح بالذنب:

✉ فإنه متى تكرر الذنب، واشتدت الغفلة، تحول خوف العاصي وحزنه إلى فرح عند ظفره بشهوته المحرمة، وهذا الفرح دليل على شدة الرغبة في المعصية، والجهل بسوء عاقبتها وعظم خطرها، والجهل بقدر من عصاه سبحانه.

❍ومن كان كذلك، فليتهم إيمانه، ولبيك على موت قلبه، وليحذر من أن يوافي ربه على ذلك.

❸- المرتبة الثالثة: مرتبة الإصرار على الذنب:

فإن تكرار الذنب يقود العاصي ولا بد إلى الإصرار، والإصرار على المعصية ذنب عظيم، لعله أعظم من الذنب الأول بكثير.

❍ ولهذا قيل: لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار.

❹- المرتبة الرابعة: مرتبة المجاهرة وإشاعة المعصية:

وهذه المرتبة من أخطر المراتب، وصاحبها متوعد بعدم المعافاة، كما في حديث أبي هريرة المتفق عليه أن النبي -ﷺ- قال:(كُلُّ أُمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرينَ).

❍كيف يجاهر بالذنب، وهو يتيقن نظر الرب جل جلاله من فوق عرشه إليه، فإن آمن بنظره إليه، وأقدم على المجاهرة فهو قلة حياء مع الله.

فعن ابن عمر عن النبي -ﷺ- أنه قال: (اجتنبوا هذهِ القاذوراتِ التي نهى اللهُ تعالى عنها، فمنْ ألمَّ بشيءٍ منْها فليستترْ بسترِ اللهِ، وليتبْ إلى اللهِ). الجامع الصغير

📃أريد التوبة فهل هناك ما يعين؟ يجيب إبراهيم بن أدهم.

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم فقال: يا إبراهيم! لقد أسرفت على نفسي بالذنوب والمعاصي، فقل لي في نفسي قولاً بليغاً، قال: أعظك بخمس، قال: هات الأولى، قال: لا تأكل من رزق الله إذا أردت أن تعصيه، قال: كيف يا إبراهيم! وهو الذي يطعم ولا يطعم؟ قال: الثانية: لا تسكن في أرض الله واعص الله، قال: كيف يا إبراهيم! والأرض أرضه والسماء سماؤه؟ قال: الثالثة: اذهب في مكان لا يراك فيه الله واعص الله، قال: أين يا إبراهيم! وهو الذي لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ؟ قال: الرابعة: إذا أتاك ملك الموت ليقبض الروح، فقل له: إني لا أموت الآن. قال: من يستطيع يا إبراهيم! والله يقول: (إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ) [يونس:49]؟ قال: الخامسة: إذا جاءتك ملائكة العذاب تأخذك إلى النار فخذ نفسك إلى الجنة، قال: من يستطيع هذا يا إبراهيم ؟! قال: اسمع يا إبراهيم! أنا أستغفر الله وأتوب إليه، فأعلنها توبة وإنابة وفراراً إلى الله، ورجعة وانضماماً إلى قوافل العائدين.

قال تعالى (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) [ال عمران:30] وقال تعالى (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ) [الحاقة:18]

فكيف إذا نطقت العينان وقالتا: أنا للحرام نظرت، ونطقت الأذنان وقالتا: أنا للأغاني والحرام استمعت، ونطقت اليدان وقالتا: أنا للربا والحرام أخذت، ونطقت الرجلان وقالتا: أنا للحرام مشيت، قال تعالى (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [يس:65]

وقال تعالى (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ، وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ) [فصلت:22].

طول الأمل حائل بين العبد وبين التوبة:

⇦ اعلم أن الذي حال بين الناس وبين التوبة والصدق فيها هو طول الأمل، ومن أطال الأمل أساء العمل، قال الله:(ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) [الحجر:3]، وقال سبحانه: (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ) [المؤمنون:55]

ودخل المزني على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي مات فيه فقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟! فقال: أصبحت عن الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولسوء عملي ملاقياً، ولكأس المنية شارباً، وعلى ربي سبحانه وتعالى وارداً، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنئها، أو إلى النار فأعزيها؟ ثم أنشد:

وَلَمّا قَسا قَلبي وَضاقَت مَذاهِبي ... جَعَلتُ الرَجا مِنّي لِعَفوِكَ سُلَّما

تَعاظَمَني ذَنبي فَلَمّا قَرَنتُهُ ... بِعَفوِكَ رَبّي كانَ عَفوُكَ أَعظَما

فَما زِلتَ ذا عَفوٍ عَنِ الذَنبِ لَم تَزَل ... تَجودُ وَتَعفو مِنَّةً وَتَكَرُّما

التوبة أن يقف العبد المذنب المقصر، وكلّنا مذنبون وكلنّا مقصّرون، يقف العبد التائب أمام ربه مُنكسر القلب خاشع الجوارح، ولسان حاله ومقاله يقول يا رب: ليس لي ربّ سواك يقبل توبتي، من يغفر لي إن لم تغفر لي؟! من يرحمني إن لم ترحمني يا رب العالمين؟!.

إلهي لست للفردوس أهلاً *** ولا أقوى على نار الجحيم

فهب لي توبةً واغفر ذنوبي *** فإنك غافر الذنب العظيم

الآمال تطوى، والأموال تفنى، والأبدان تحت التراب تموت، وأن الأيام والليالي تبليان كل جديد، وتقربان كل بعيد، وتأتيان بكل وعد ووعيد، فانتبهي حبيبتي من رقدة الغافلين، وارجعي إلى الله بالتضرع والخشوع، وقولي: آن الأوان للانضمام إلى قوافل التائبين.

فضائل التوبة:

❶-وأعظم فضل للتوبة أنها سبب لمحبة الرب للعبد.

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [سورة البقرة: 222]، وقال جل وعلا فى الحديث القدسى من حديث أبى هريرة يقول تعالى: (.....فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ " رواه البخارى

✉ ماذا لو أحبك الله؟ عن أبى هريرة رضي عنه عن رسول الله -ﷺ-: (إنَّ اللَّهَ إذا أحَبَّ عَبْدًا دَعا جِبْرِيلَ فقالَ: إنِّي أُحِبُّ فُلانًا فأحِبَّهُ، قالَ: فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنادِي في السَّماءِ فيَقولُ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّماءِ، قالَ ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ) صحيح مسلم

⇦ فإن أحبك رب الأرض والسماء سعدت فى الدنيا والآخرة، أسأل الله أن يجعلنى وإياكن من أهل السعادة فى الدنيا والآخرة.

❷- أنها سبب لفرح الرب بالعبد.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله-ﷺ-: (للَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِن أَحَدِكُمْ كانَ علَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ منه وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فأيِسَ منها، فأتَى شَجَرَةً،فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا، قدْ أَيِسَ مِن رَاحِلَتِهِ، فَبيْنَا هو كَذلكَ إذَا هو بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ ، فأخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ) رواه مسلم

❍يفرح الله بنا إن تبنا إليه، أعظم من فرح هذا العبد بعودة دابته إليه.

❸- أنها سبب لنور القلب ومحو أثر الذنب.

✉التوبة سبب لإنارة القلب ومحو أثر الذنب، إن صدقت مع الله فى توبتك طهرك الله، وبدل كل سواد نكت في قلبك الى بياض يصل ضوئه الى وجهك.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -ﷺ-: " إنَّ العبدَ إذا أخطأَ خطيئةً نُكِتت في قلبِهِ نُكْتةٌ سوداءُ، فإذا هوَ نزعَ واستَغفرَ وتابَ سُقِلَ قلبُهُ، وإن عادَ زيدَ فيها حتَّى تعلوَ قلبَهُ، وَهوَ الرَّانُ الَّذي ذَكَرَ اللهُ (كَلَّا، بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). صححه الألباني

❍إذا أذنب المؤمن نكت فى قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه يعود الإيمان والنور إلى القلب مرة ثانية، لأن للإيمان نوراً فى القلب، قال عليٌّ سمعت رسولَ اللهِ -ﷺ-: (يقولُ ما من القلوبِ قلبٌ إلا وله سحابةٌ كسحابةِ القمرِ بينَما القمرُ يُضيءُ إذ علته سحابةٌ فأظلم إذ تجلَّت عنه فأضاء). صححه الالباني

✉تتحرك سحابة كثيفة مظلمة فتحجب السحابة المظلمة نور القمر عن الأرض، فذلك إن تحركت المعاصى على القلب حجبت نور الإيمان فى القلب، فإن انقشعت السحب المظلمة سحب المعاصى والذنوب بالتوبة والأوبة والاستغفار، عاد الإيمان فى القلب إلى نوره وإشراقه، فالإيمان له حقيقة، وله طعم، وله نور، وله حلاوة.

❍فالتوبة سبب لنور القلب ومحو أثر الذنب، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: أن للحسنة ضياء في الوجه، ونورا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق،

وان للسيئة سوادا في الوجه ، وظلمة في القبر والقلب ، ووهناً في البدن ، ونقصا في الرزق ، وبغضة في قلوب الخلق.

❹من فضائل التوبة: أنها سبب للحياة السعيدة فى الدنيا والآخرة، من حرم من نعمة وأرادها فعليه بالتوبة.

قال جل وعلا:(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا * مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) [نوح:10-13]

وقال تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ، وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) [الأعراف:96]

❁بالتوبة والمداومة على الاستغفار، نستجلب عطايا الله التي حالت بيننا وبينها ذنوبنا.

❁والله لا سعادة فى الدنيا والآخرة، إلا لمن تاب إلى الله وداوم على التوبة.

قال تعالى (يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ.... وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ) [هود:105-108]

⇦اللهم اجعلنا من الذين سعدوا في الدنيا والآخرة.

✉هيا نبادر بالتوبة ولا نؤجل ولا نسوف، فإن الموت يأتى بغتة، ويحول بيننا وبين التوبة، اللهم ارزقنا توبة صادقة قبل الموت.

🗐شموس مضيئة فى سماء التوبة:

❶رجلاً قتل مائة نفس ومع ذاك لما تاب إلى الله وصدق فى توبته تاب الله عليه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: "كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : لَا ، فَقَتَلَهُ ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ ، قَالَ قَتَادَةُ : فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا ، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ" .رواه مسلم

❍غير البيئة فلابد من تغير البيئة، بيئة المعصية والبعد عن الله لا بد من تغيير الصحبة التى تحول بينك وبين الطاعة والاستقامة، وبين مجالس الصالحين.

❷قصة تائب روي عن منصور بن عمار قال: خرجت ليلة وظننت أني أصبحت، وإذا علي ليل، فقعدت عند باب صغير، فإذا بصوت شاب يبكي ويقول: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك حين عصيتك وما أنا بنكالك جاهلاً، ولا لعقوبتك متعرضاً، ولا بنظرك مستخفاً، ولكن سولت لي نفسي، وغلبتني شقوتي، وغرني سترك المرخى علي، فالآن

مِن عذابك مَن يستنقذني؟ وبحبل من اعتصم إن قطعت حبلك عني؟ واسوأتاه على ما مضى من أيامي في معصية ربي؟ ويا ويلي كم أتوب وكم أعود، وقد حان لي أن أستحي من ربي، قال منصور: فلما سمعت كلامه قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [التحريم:6]، قال: فسمعت صوتاً واضطراباً شديداً، ومضيت لحاجتي، فلما أصبحنا، رجعت وإذا أنا بجنازة على الباب، وعجوز تذهب وتجيء، فقلت لها: من الميت؟ فقالت: لا تجدد علي أحزاني، قلت: إني رجل غريب، فقالت: هذا ولدي، مر بنا البارحة رجل، لا جزاه الله خيراً، فقرأ آية فيها ذكر النار، فلم يزل ولدي يضطرب ويبكي حتى مات، قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون! سير أعلام النبلاء

قال -ﷺ-: (الندمُ توبةٌ، والتائِبُ منَ الذنبِ كمَنْ لا ذنبَ لَهُ). صحيح الجامع

❍وقال بعضهم: إن العبد ليذنب الذنب، فلا يزال نادماً حتى يدخل الجنة، فيقول إبليس: ليتني لم أوقعه في الذنب.

🗐وقال طلق بن حبيب: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد، ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين.

⇦فليس عيب أن نخطئ، ولكن كل العيب أن نصر على الخطأ، ونتمادى فيه، وننسى فضل الله علينا ورقابة الله لنا.

❸ومن شموس التوبة الصحابية الغامدية

✉ فجاءت الغامدية، فقالت: يا رسول الله إني قد زَنَيْت فَطَهِّرْني وإنه رَدَّها، فلمَّا كان الغَد قالت : يا رسول الله لِمَ تَرُدّني ؟ لعلك أن تَرُدّني كَما رَدَدْتَ مَاعزا؟ فو الله إني لَحُبْلَى، قال : إمَّا لا فاذْهبي حَتى تَلِدِي ، فلمَّا وَلَدتْ أتَتْه بِالصَّبِيّ في خِرْقَة ، قالت : هذا قد وَلَدْتُه، قال : اذْهَبي فأرْضِعِيه حتى تَفْطِمِيه ، فلمَّا فَطَمَتْه أتته بالصَّبي في يَده كِسْرة خُبْز ، فقالت : هذا يا نَبِيّ الله قد فَطَمْتُه ، وقد أكل الطَّعام ، فَدَفع الصبي إلى رَجل من المسلمين ، ثم أمَرَ بِهَا فَحُفِر لَهَا إلى صَدْرِها ، وأمَرَ الناس فَرَجَمُوها . رواه مسلم.

⇦جاء بها إيمانها، وخوفها من ربها جل جلاله وعلمها عن الله

✉ورواية مسلم أن عمر بن الخطاب قال له: يا رسول الله أتصلى عليها وقد زنت؟! فقال له النبى:" والذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله جل وعلا".

✋اللهم استر نساءنا وبناتنا وأصلح شبابنا، واحفظ فروجنا يا أرحم الراحمين حتى ولو لم يقم عليك الحد عجل بالتوبة، وتب إلى الله تبارك وتعالى.

⇦إن تبنا إلى الله وكنا صادقين فى توبتنا وقبل الله منا التوبة سندخل الجنة برحمته المهم أن نصدق فى التوبة.

❺ومن شموس التوبة الرجل الذي أسرف على نفسه بالذنوب:

عن أبي هريرة، عن النبي -ﷺ- قال: ((أسرف رجلٌ على نفسه، فلما حضره الموتُ أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت، فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم اذرُوني في الريح في البحر، فوالله لئن قدَر عليَّ

ربي ليعذبني عذابًا ما عذَّبه به أحدًا، قال: ففعلوا ذلك به، فقال للأرض: أدِّي ما أخذتِ، فإذا هو قائم، فقال له: ما حملكَ على ما صنعتَ؟ فقال: خشيتُك يا رب - أو قال: مخافتك - فغفر له بذلك))؛ رواه الشيخان واللفظ لمسلم

✉ إن أول ما يستعد به لرمضان (التوبة)، أول ما ينبغي علينا فعله: توبة نصوح وندم شديد على ما مضى من الذنوب والأوزار.

✉ها هو رمضان يلوح ويقترب، وأعناق المذنبين تشرئب، وها هي التوبة معروضة ومواسم الطاعات مشهودة، فلئن كنا قد أتعبتنا المعاصي وأثقلتنا الذنوب فلنعلم أن لنا رباً يريدنا أن نتوب (وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً) [النساء:110].

✉ اخلُ بنفسك! اعترف بذنبك! ناج ربك! اعصر القلب وتألم! واترك دموعك تسيل على خديك وأنت تذكر غدراتك وهفواتك، وعصيانك وآثامك التي ارتكبتها في حق ربك، الذي لم يزل لك ساتراً ومُنعماً ومُتفضلاً! طهّر قلبك من أوساخ الذنوب وأدران المعاصي وظلمات الشهوات حتى يكون جديراً بأن يكون محطاً لرحمة الله.

📄أبشري أيتها التائبة

⇦أبشري أيتها التائبة أبشري أيتها العائدة إلى قوافل العائدين، فإن الله سبحانه يقول: قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة:222]، يقول جل في علاه فاتحاً أبواب الرحمة: قال تعالى (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر:53] ويقول جل في علاه:(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)[الفرقان:70]ويقول عز من قائل: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) [هود:114]. ويقول أرحم الراحمين: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) [طه:82].

وقالَ اللَّهُ تعالى :(يا ابنَ آدمَ إنَّكَ ما دعَوتَني ورجَوتَني غفَرتُ لَكَ على ما كانَ فيكَ ولا أُبالي، يا ابنَ آدمَ لو بلغَت ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ إنَّكَ لو أتيتَني بقِرابِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتَني لا تشركُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً. السلسة الصحية

أبشري أيتها التائبة! أبشري أيتها العائدة! أبشري أيتها المنضمة إلى قوافل العائدين، فإن النبي -ﷺ- يقول: (التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ).

أبشري حبيبتي فإن الله يفرح بتوبة التائبين، (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) [الشورى:25].

✉وختاماً: لنعلم أن الحياة بدون الله سراب، وأن القلب لا يصلح إلا بالله جل وعلا، فإذا أقبل على الله تعالى اجتمع وانضم بعضه إلى بعض، ووجد نفسه وسلمت فطرته.

اللهم تب علينا توبة نصوحاً، اللهم اقبل توبة التائبين، واغفر ذنب المذنبين، واقبل الشباب والشيب في قوافل العائدين. اللهم ألهمنا القيام بحقك، وبارك لنا في الحلال من رزقك، ولا تفضحنا بين خلقك، يا خير من دعاه داع، وأفضل من رجاه راج، يا قاضي الحاجات! يا رافع الدرجات! يا مجيب الدعوات! يا رب الأرض والعرش والسماوات! سألناك فحقق رجاءنا فيما

تمنيناه. يا من يملك حوائج السائلين نسألك عفوك وحلاوة مغفرتك يا أرحم الراحمين! اللهم توب علينا، يا تواب اللهم ارحمنا يا رحيم. اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين. وصل الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

المراجع: خطبه مكتوبه للشيخ محمد حسان بتصرف.